

اعتقاد

عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة
ابن الماجشون

(١٦٤هـ) رحمه الله

وفيه:

رسالتان في إثبات صفات الله تعالى
ورسالتان في إثبات القدر
ورسالة في النهي عن الجدل

التعريف بصاحب العقيدة

الاسم: عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة التيمي مولاهم المدني.

الكنية: أبو عبد الله.

الشهرة: ابن الماجشون.

الوفاة: (١٦٤هـ).

الثناء عليه:

قال أبو حاتم والنسائي: ثقة.

وقال ابن وهب: حججت سنة ثمان وأربعين ومائة وصائح يصيح: لا يُفتي النَّاس إلَّا مالك، وعبد العزيز بن أبي سلمة.

وقال علي بن الحسين بن حبان: وجدت في كتاب أبي بخطِّ يده: قيل لابن معين: عبد العزيز الماجشون هو مثل ليث وإبراهيم بن سعد؟ فقال: لا هو دونهما، إنَّما كان رجلًا يقول بالقدر والكلام ثم تركه وأقبل إلى السُّنة، ولم يكن من شأنه الحديث، فلما قدم بغداد كتبوا عنه فكان بعد يقول: جعلني أهل بغداد مُحدِّثا، وكان صدوقًا ثقة.

وقال ابن تيمية في «الفتوى الحموية» (ص٣١٠): . .

عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون ـ وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم: مالك بن أنس، وابن الماجشون، وابن أبي ذئب..

قال الذهبي: الإمام المفتي الكبير.. لم يكن بالمكثر من الحديث لكنه فقيه النفس فصيح كبير الشَّأن.

مصادر الترجمة:

«تهذيب الكمال» (١٨/ ١٥٢)، و«السير» (٧/ ٣٠٩).

العقيدة الأولى

إثبات الصفات والرد على الجهمية

مجمل العقيدة:

اشتملت هذه العقيدة على إجابة عن سؤال سُئل عنه ابن الماجشون رَحِمَهُ ٱللَّهُ عما جحدته الجهمية من صفات الله تعالى.

فأجاب عن ذلك بإثبات صفات الرب عَزَّ وَجَلَّ الواردة في الكتاب والسُّنة، والنهي عن تكلُّف إثبات ما لم يرد به النَّص، وأنه لا مجالَ للعقول في معرفةِ كنهه تعالى وتقدَّس، وبيان أن العصمة في الدِّين من الزَّلل تكون بالوقف حيث وقف بك الشَّرع، فلا تتكلَّم فيما لم يرد به نصٌّ ولم يتكلَّم فيه السَّلف.

مصدر العقيدة:

استخرجت هذه العقيدة من كتاب «الإبانة الكبرى» (٢٦٢٢) بتحقيقي.

ثم قابلتها بما ذكره ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتوى الحموية» فقد ساقها بتمامها.

وقال (ص٣١٠): وروى الأثرم في «السُّنة»، وأبو عبد الله

ابن بطة في «الإبانة»، وأبو عمر الطلمنكي وغيرهم بإسناد صحيح عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون ـ وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم: مالك بن أنس، وابن الماجشون، وابن أبي ذئب وقد سئل عما جحدت به الجهمية.. فذكرها.

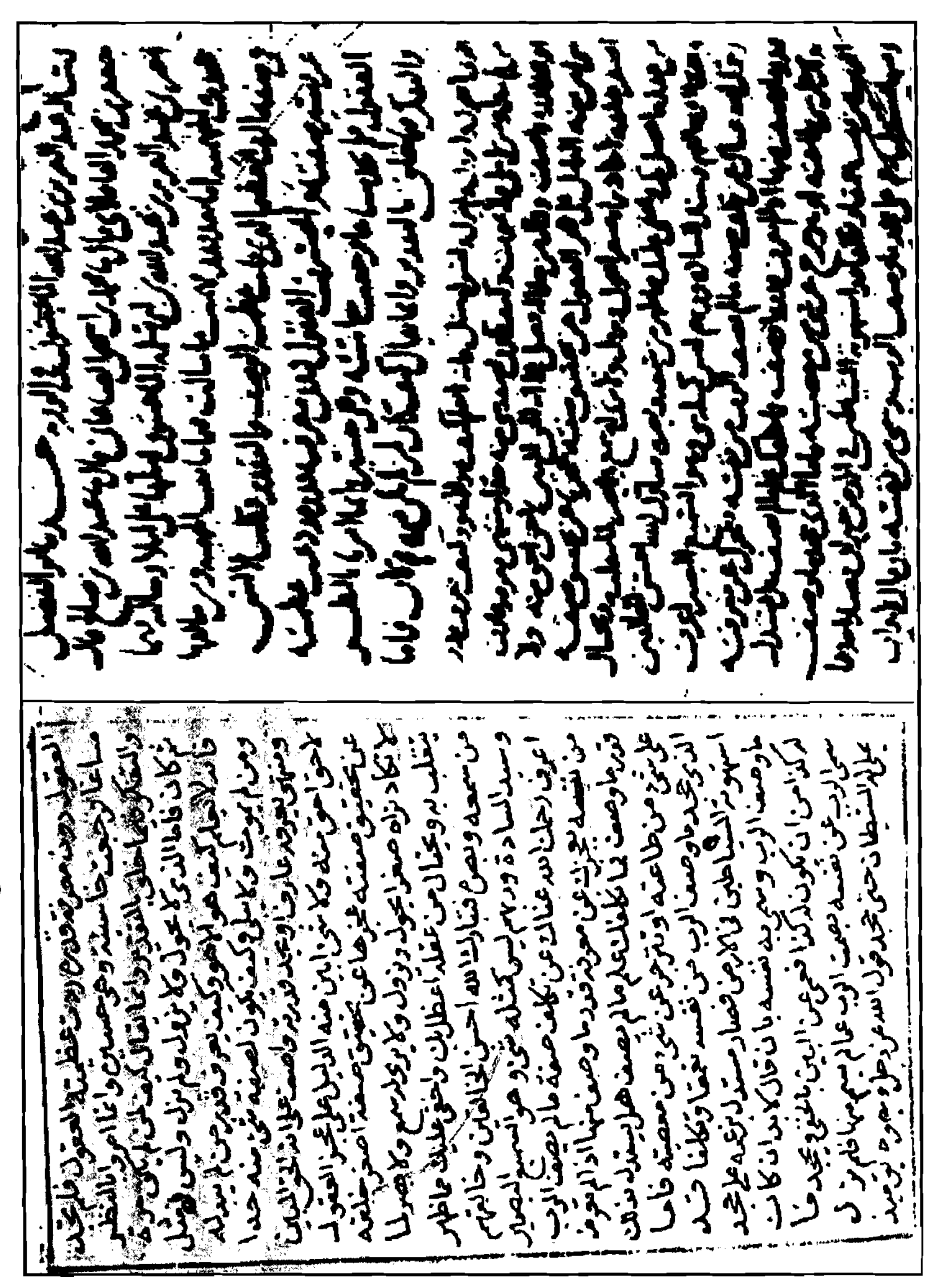
ثم قال في آخرها:

وهذا كله كلام ابن الماجشون الإمام، فتدبره وانظر كيف أثبت الصفات، ونفى علم الكيفية موافقة لغيره من الأئمة، وكيف أنكر على من نفى الصفات بأنه يلزم من إثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية: إنه يلزم أن يكون جسمًا أو عرضًا فيكون محدثًا. اهـ.

وقد جعلت ما في «الإبانة» هو الأصل، وما بين [ ] من «الحموية».

على أني في بعض المواطن أثبت ما أراه صوابًا وأقرب في إقامة النص ولا أشير إلى ذلك في الحاشية تقليلًا لحواشي الكتاب.

صورة المخطوط



صورة من كتاب «الإبانة»

صورة من كتاب «الحموية»

۞ قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» (تتمة الرد على الجهمية)(١):

رسالة عبد العزيز بن عبد الله الماجشون في الرؤية

حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد القافلائي، قال: ثنا محمد بن إسحاق الصَّاغاني، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: أخبرني عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون ـ أملاها عليَّ إملاء ـ وسألته فيما جحدت الجهمية؟

أمَّا بعد،

١ ـ فقد فهمت ما سألت فيما تتابعت الجهمية ومن حالفها في صِفة الرَّبِّ العظيم الذي فاتت عظمته الوصف والتقدير، وكَلَّت الألسُن عن تفسير صِفتِهِ، وانحسرت العقول دون معرفة قدره، وردت(٢) عظمتُه العقولَ، فلم تجد مساغًا فرجعت خاسئة وهي حسيرة.

وإنما أُمرنا بالنَّظر والتَّفكر فيما خلق بالتقدير.

وإنما يقال: كيف كان؟ لمن لم يكن مرَّةً ثم كان.

فأما الذي لا يحول، ولا يزول، ولم يزل، وليس له مِثل؛ فإنَّه لا يعلم كيف هو إلَّا هو.

---

(١) قال الذهبي في «السير» (٧/ ٣١١): أخبرنا أحمد بن سلامة إجازة، عن يحيى بن أسعد، أنبأنا عبد القادر بن محمد، أنبأنا أبو إسحاق البرمكي، أنبأنا أبو بكر بن بخيت، أنبأنا عمر بن محمد الجوهري، حدثنا أبو بكر الأثرم، حدثنا عبد الله بن صالح، عن عبد العزيز بن الماجشون أنه سئل عما جحدت به الجهمية؟ فقال: . . فذكر بعضها.

(٢) في «الإبانة»: (ودعت). وما أثبته من «الحموية».

وكيف يُعْرَف قدر من لم يبد[(١)]، ومن لا يبلى، ولا يموت؟

وكيف يكون لصفة شيءٍ منه حدٌّ أو مُنتهى، يعرفه عارف، أو يحدّ قدره[(٢)] واصف، على أنه الحقُّ المبين[(٣)] لا حقَّ أحقُّ منهُ، ولا شيء أبينُ منه.

٢ ـ الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته: عجزُها عن تحقيقِ صفة أصغر خلقه لا تكاد تراه صغرًا يجول ويزول، ولا يُرَى له سمع ولا بصر لما يتقلب به ويحتال من عقله أعضل بك وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وخالقهم وسيد السَّادة وربهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

٣ ـ اعرف ـ رحمك الله ـ غناك عن تكلف صفة مَا لم يصف الرَّبّ مِن نفسه بعجزك عن معرفة قدرِ ما وصف منها إذا لم تعرف قدر مَا وصف، فما كلَّفك علم ما لم يصف.

هل تستدلُّ بذلك على شيءٍ من طاعته، أو تنزجر[(٤)] عن شيءٍ من معصيته.

٤ ـ فأما الذي جحد مَا وصف الرَّبُّ من نفسه تعمّقًا وتَكُلّفًا

(١) في «الإبانة»: (يبدأ). وما أثبته من «الحموية».

(٢) في «الحموية»: (قدرته).

(٣) قوله: (وذلك من جلاله فصل على أنه الحق المبين) ليست في «الحموية». في «الإبانة»: (يحد قدره واصف وذلك من جلاله فصل على أنه..). وما أثبته من «الحموية».

(٤) في «الإبانة»: (تتزحزح)، وما أثبته من «الحموية».

قد استهوته الشياطين في الأرض حيران، فصار أحدها ومنها، يستدِلُ بزعمه على جحد ما وصف الرَّب وسمَّى من نفسه بأن قال: (لا بدَّ إن كان له كذا من أن يكون له كذا) فعمى عن البيِّن بالخفيِّ وبجحد ما سمَّى الرَّبُّ مِن نفسه بصمت الرَّبِّ عمَّا لم يُسم منها، فلم يزل يُملي له الشَّيطان حتَّى جَحَدَ قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

فقال: لا يراه أحدٌ يوم القيامة.

فجحدوا لله أفضلَ كرامة الله التي أكرم [الله] بها أولياءه يوم القيامة: مِن النَّظر إلى وجهه، ونضرته إيَّاهم ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٥]، وقد قضى أنهم لا يموتون فهم بالنَّظر إليه ينظرون[١].

وإنما كان يهلك مَن رآه حيث لم يكن يبقى سواه، فلما حتم البقاء ونفى الموت والفناء؛ أكرم أولياءه بالنَّظر إليه واللِّقاء.

فوربِّ السَّماء والأرض ليجعلن الله رؤيته يوم القيامة للمخلصين ثوابًا؛ فتُنضَّر بها وجوههم دون المجرمين، وتَفْلُج بها حجتهم على الجاحدين [فهم وشيعته وهم عن رَبِّهم يومئذ مَحجوبون لا يرونه كما زعموا أنَّه لا يُرى، ولا يُكلِّمهم][٢] ولا ينظرُ إليهم ولهم عذابٌ أليم.

كيف لم يعتبر قائله بقول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

---

(١) وفي «الإبانة»: (يُنضَّرون).

(٢) من المطبوع.

أيظن أنَّ اللهَ يُقصِيهم ويعذِّبهم بأمرٍ يزعم الفاسق أنه وأولياءه فيه سواء؟

وإنَّما جحدَ رؤيتَهُ يوم القيامة إقامة للحُجَّةِ الضَّالة المُضِلَّة؛ لأنه قد عرف إذا تَجلَّى لهم يوم القيامة [رأوا منه ما] كانوا به قبل ذلك مؤمنين وكان له جاحدًا.

٥ ـ وقال المسلمون: يا رسول الله هل نرى ربنا؟

وذلك قبل أن ينزل الله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

فقال رسول الله: «**هل تُضارُّون في رُؤية الشَّمسِ ليسَ دونها سَحابٌ**»؟

قالوا: لا.

قال: «**فهل تُضارُّون في رُؤيةِ القمرِ ليلة البدرِ ليسَ دونه سَحاب**»؟

فقالوا: لا.

قال: «**فإنكم ترون ربَّكم يومئذٍ كذلك**»(١).

٦ ـ وقال رسول الله ﷺ: «**لا تمتلىءُ النَّارُ حتَّى يَضَعَ الرَّحمنُ**(٢) **قدمَه فيها فتقولُ: قَط قَط، فيَنزَوي بعضُها إلى بعضٍ**»(٣).

٧ ـ وقال لثابت بن قيس: «**لقد ضَحِكَ اللهُ مما فعلت بضيفك البَارِحة**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) وفي «الحموية»: (حتى يضع الجبار).
(٣) رواه البخاري (٨٤٨٤)، ومسلم (٧٢٧٩) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٤) رواه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤).

٨ ـ وقال فيما بلغنا: «**إن اللهَ ليضحك مِن أزلكم، وقُنوطكم، وسُرعة إجابتكم**».

وقال له رجلٌ من العرب: إن رَبَّنا ليضحك؟

قال: «**نعم**».

قال: لا نعدم مِن رَبٍّ يضحك خيرًا(١)

في أشباهٍ لهذا مما لم نُحصِه.

٩ ـ وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

[وقال]: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٣٩].

وقال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥].

وقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

فوالله ما دلَّهم على عظم ما وصف من نفسه(٢) وما تحيط به قدرته إلَّا صِغَرُ نظيرها منهم عندهم، أن ذلك الذي ألقى في روعهم وخلق على معرِفَةِ قلوبهم.

---

(١) رواه أحمد (١٦١٨٧)، وابن ماجه (١٨١) من حديث أبي رَزِين ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يضحكُ رَبُّنا ﷻ مِن قُنُوط عِبَادِهِ وقُرْبِ غِيَرِهِ**». قال: قلت: يا رسول الله أوَ يضحكُ الرَّبُّ ﷻ؟ قال: «**نعم**». قلتُ: لن نَعدَمَ مِن رَبٍّ يضحكُ خيرًا.

والحديث صحيح كما خرجته في التعليق على كتاب «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٤٣٣).

(٢) في «الإبانة»: (على عظم من وصف نفسه)، وما أثبته من «الحموية».

١٠ ـ فما وصفَ الله مِن نفسه فسمَّاه على لسان نبيه؛ سميناه كما سمَّاه، ولم نتكلَّف منه صفة ما سواه لا هذا ولا هذا.

لا نجحدُ ما وصَفَ، ولا نتكلَّفُ معرفة ما لم يصف.

١١ ـ اعلم ـ رحمك الله ـ أن العِصمة في الدِّين: أن تنتهي [في الدين] حيث انتُهي بك، ولا تجاوز ما قد حُدَّ لك، فإن من قوام الدِّين: معرِفة المعروف، وإنكار المنكر.

فما بُسطت عليه المعرفة، وسكنت إليه الأفئدة، وذُكِرَ أصله في الكتاب والسُّنة، وتوارث علمه الأُمة؛ فلا تخافن ـ في ذِكرِهِ وصفتِهِ مِن رَبِّك ما وصف من نفسه ـ عبثًا![1] ولا تتكلَّفن لما وصفه لك مِن ذلك قدرًا.

وما أنكرته نفسُك، ولم تجد ذكره في كتابِ رَبِّكَ، ولا في الحديث عن نبيِّكَ من ذكرِ صفةِ ربِّك؛ فلا تتكلَّفن علمه بعقلك، ولا تصفه بلسانِكَ، واصمت عنه كما صمت الرَّب عنه من نفسِهِ؛ فإن تكلَّفُك معرِفَة ما لم يصف مِن نفسه، مثل إنكارك ما وصف منها.

فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما وصفه من نفسه، فكذلك أعظم تكلَّف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها.

فقد ـ والله ـ عزَّ المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه وما يبلغهم مثله عن نبيه.

---

(١) في «الحموية»: (عيبًا).

فما مَرِضَ من ذكر هذا وتسميته من الرَّبِّ قلبُ مسلم، ولا تكلَّف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرَّبِّ مؤمن.

ومَا ذُكِرَ عن رسول الله ﷺ أنه سمَّاه من صفة ربه، فهو بمنزلة ما سمَّى ووصف الرَّب تعالى من نفسِهِ، (من أجل ما وصفنا؛ كالجاحد المنكر لما وصفنا منها)(١).

والرَّاسخون في العلم، الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه، التَّارِكون لما ترك مِن ذكرها، لا ينكرون صفةَ ما سمَّى منه(٢) جحدًا، ولا يتكَلَّفونَ وصفه بما لم يُسمِّ تعمقًا؛ لأن الحقَّ تَركُ ما تَركَ وتسمية ما سَمَّى: ومن يتبع ﴿غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وهب الله لنا ولكم حكمًا، وألحقنا بالصَّالحين.

---

(١) ما بين ( ) ليس في «الحموية».

(٢) في «الحموية»: (منها).

الرسالة الثانية

بيان عظمة الله وإثبات صفاته تعالى

مجمل الرسالة:

اشتملت هذه الرسالة على إثبات صفات الله تعالى، وبيان عظمته وقدره وعلمه الذي سبق كلَّ شيءٍ.

مصدر الرسالة:

استخرجت هذه الرسالة من كتاب «العظمة» (١/ ٣٨٨/ دار العاصمة) لأبي الشيخ الأصبهاني (٣٦٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد رواها عنه بإسناد صحيح.

ولم أقف على من خرجها غيره.

۞ قال أبو الشيخ الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «العظمة»:

أخبرنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا صالح بن مالك الخوارزمي، قال:

قرأ علينا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون رحمه الله تعالى:

١ ـ اعلم أن الله تعالى أولٌ لم يزل أولًا، وليس بالأوَّل الذي كان أولًا ما كان مِن الأشياء وقد كان.

٢ ـ هو الآخِر الذي لم يزل، ليس بالآخر الذي يكون آخرًا ثم لا يكون، وهو الآخِر الذي لا يفنى والأول الذي لا يبيد، القديم الذي لا بداية له، لم يُحدَث كما حدثت الأشياء، لم يكن صغيرًا فكبر، ولا ضعيفًا فقوي، ولا ناقصًا فتمَّ، ولا جاهِلًا فعلِمَ، لم يزل قويًّا عاليًا كبيرًا مُتعاليًا، لم تأت طرفة عين قط إلَّا وهو الله.

٣ ـ لم يزل ربًّا، ولا يزال أبدًا كذلك فيما كان، وكذلك فيما بقي يكون، وكذلك هو الآن، لم يستحدث علمًا بعد أن لم يكن يعلم، ولا قوَّة بعد قوَّة لم تكن فيه، ولم يتغيَّر عن حالٍ إلى حالٍ بزيادة ولا نقصان؛ لأنه لم يبقَ مِن الملك والعظمة شيء إلَّا وهو فيه، ولن يزيد أبدًا عن شيءٍ كانَ عليه، إنَّما يزيد من سينقص بعد زيادة كما كان قبل زيادتِهِ ناقِصًا، وإنَّما يزداد قوَّة مَن سيضعف بعد قوته كما كان قبل زيادته ناقصًا، وإنما يزداد علمًا مَن سيجهل بعد علمه كما كان قبل علمه جاهِلًا، فأمَّا الدَّائمُ الذي لا نفاد له، الحيّ الذي لا يموت، خالق ما يُرى وما لا يرى، عالم كلّ شيءٍ بغير تعليمٍ فإن ذلك هو الواحد في كلِّ شيءٍ، المتوحِّد بكلِّ شيءٍ،

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ وراجع إلى ما كان عليه بدءُ أمره.

٤ ـ ولم يكن تبارك وتعالى مِن شيءٍ فيرجع إليه، ولم يكن قبله شيء فيقضي عليه، لا ينبغي أن يكون من صفتِهِ أنه لم يكن مرَّة ثم كان، إنَّما تلك صفة المخلوقين، وليس بصفة الخالقِ؛ لأنَّه خلق ولم يكن يُخلق، وبدأ ولم يُبدأ، فكما لم يُبدأ فكذلك لا يفنى، وكما لا يفنى ولا يَبلى فكذلك ـ وعزَّة وجهه ـ لم يزل ربًّا، وإنما يبلى ويموت مَن كان قبل حياته ميتًا.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١].

فكلتاهما موتتان، ربنا لم يكُن مَيتًا فحيي، وكذلك هو الحيُّ الذي لا يموت، هو ربُّ الخلق قبل أن يخلقهم، كما هو ربهم بعد أن خلقهم، وقد أحاطَ بهم قبل خلقهم علمًا، وأحصاهم عددًا، وأثبتهم كِتابًا، فكان مِن أمره في تقديره إياهم قبل أن يكونوا على ما هم عليه من أمرهم بعدما كانوا، ليس خلقه إياهم بأعظم في ملكه مِن تقديره ذلك منهم قبل أن يكونوا بعلمه، إنَّما هو علمه وفعله، لا يستطيع أحد أن يقدر واحدًا منهما قدرَهُ وهو مالك يوم الدين قبل أن يأتي، وهو مالكه حين يأتي، لم يكن الخلق شيئًا قبل أن يخلقهم حتَّى خلقهم، ثم يردهم إلى أن لا يكونوا شيئًا ثم يُعيدُ خلقهم.

قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

٥ ـ فهو ابتدع الخلق وابتدأهم، وعلم قبل أن يكونوا

ما يصيرون إليه، ثم هينٌ بعد ذلك تكوينهم عليه، قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الروم: ٢٧]، وليس بأهون عليه من شيء؛ ولكنه قال ذلك مثلًا وعبرة ليعرف العباد ما وصف به من القدرة، وله المثل الأعلى.

وكيف يكون شيء أهون عليه من شيء وإذا أراد شيئًا يقول: (كن) فيكون، إنما هو كلمة ليس لها عليه مؤونة، لا يبعد عليها كبير، ولا يقل عليها صغير، خَلْقُ السَّموات والأرض وما بينهما كخلق أصغر خلقه، قال: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ٢٨﴾ [لقمان: ٢٨].

قال: ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [يس: ٢٩].

وقال: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠﴾ [القمر: ٥٠].

فهذا كُله: كن فيكون.

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾ [يس: ٨٣].

٦ ـ غيَّبَ الغيوب عن خلقه ولم يغيبها عن نفسه،

علمه بها قبل أن تكون كعلمه بها بعدما كانت.

ما علم أنّه كائن قد قضى أن يكون، وذلك أنه قد كتب ما علم، وقضى ما كتب، لم يكتب ما عَلِمَ تذكرًا، ولم يزدد بخلقه بعدما خلقهم علمًا يزيده إلى ملكه شيئًا، وهو الغني عنهم بملكه الذي به خلقهم، قال: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ١٧﴾ [فاطر: ١٦، ١٧].

هو أبدُ الأبد، الواحد الصَّمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.اهـ.

الرسالة الثالثة

إثبات القدر والرد على من أنكره والنهي عن الجدال فيه

مجمل الرسالة:

اشتملت هذه الرسالة على إثبات القدر وقدرة الله تعالى، والنَّهي عن الجدل والتَّعمق في أقدار الله تعالى فإنَّه يجرُّ إلى الهلكة في دينِ الله تعالى.

مصدر الرسالة:

استخرجت هذه الرسالة من كتاب «الإبانة الكبرى» لابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ (١٩٧٣/ بتحقيقي)، وقد اعتمدت في ذلك على نسخة خطية من هذا الكتاب، ثم قابلتها بطبعة الراية (٢/ ٢٤٠/ ١٨٥٢)، وطبعة الفاروق (٣/ ٢١١/ ١٨٦٧).

صورة المخطوط

رسالة عبد العزيز بن أبي
سلمة الماجشون

حدثنا أبو الفضل جعفر بن يحيى [illegible] قال أخبرنا [illegible]
[illegible] القاضي حدثنا أبو محمد يوسف بن محمد بن [illegible]
قال حدثنا أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن [illegible] بن شهاب
حدثنا أبو محمد يوسف بن أحمد بن عبد الرحمن بن شهاب قال [illegible]
[illegible] حدثنا أبو بكر أحمد بن هانئ [illegible] الأثرم [illegible]
حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح قال حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي
سلمة الماجشون [illegible] أما بعد فإنك سألت أن أوضح
لك في أمر القدر ولعمري لئن وفقك الله تعالى فيه لمن كان له
قلب أو ألقى السمع وهو شهيد حتى [illegible] أن له الملك والقدرة
وأن له العزة والحجة ووصف القدر [illegible] والحجة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى»:

رسالة عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون

حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد القافلائي، قال: حدثنا محمد بن إسحاق الصاغاني.

وحدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن رجاءٍ، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن عبد الله بن الحسن بن شهاب.

وحدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن عبد الله بن شهاب، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الطائي الأثرم، قالا جميعًا:

حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح، قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، قال:

أما بعد،

١ ـ فإنَّك سألتني أن أفرقَ لك في أمر القدرِ، ولعمري لقد فرَّقَ الله تعالى فيه: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧].

فأعلمنا أنَّ له الملك والقُدرة، وأنَّ له العذر والحُجَّة، ووصف القدر تملكًا والحُجَّة إنذارًا.

ووصف الإنسانَ في ذلك مُحسنًا ومُسيئًا، ومُقدورًا عليه ومَعذورًا عليه.

فرزَقَهُ الحسنةَ وحَمِدَهُ عليها.

وقَدَّرَ عليه الخطيئةَ ولامَهُ فيها.

فحسبتَ حِين حَمدَهُ ولامَهُ أنه مُمَلَّكٌ،

ونسيت انتحاله القدر؛ لأنه مُملَّكٌ،

فلم يخرجه بالمحمدةِ واللائمة من مُلكِهِ،

ولا يعذره بالقدر في خطيئته خلقه على الطلب بالحيلة؛

فهو يعرفُها ويلومُ نفسَهُ حين ينكرُها،

وعرَّفه القدرة فهو يؤمنُ بها، ولا يجدُ معولًا إلَّا عليها.

فرغب إلى الله ﷻ في التوفيق لعلمه بملكِهِ موقنًا بأن ذلك في يده، فيخطئه ما طلبَ فيرجعُ في ذلك على لائمةِ نفسِهِ، مفزعهُ في التقصير ندامته على ما ترك من الأخذِ بالحيلةِ، قد عرف أن بذلك يكون لله عليه به الحجة، مُعوّله في طلب الخير: ثقتُهُ بالله وإيمانُهُ بالقدر حين يقول يطلب الخير: لا حول ولا قوة إلَّا بالله، ويقول حين يقع في الشَّرِّ: لا عُذر لي في معصية الله.

مُستسلمٌ حين يطلب، ضعيفٌ في نفسه، قويٌّ حين يقعُ في الشَّرِّ لائمًا لأمره، ليس القدرُ بأحقَّ عنده بأنه ظالم حين يعصي ربه، إن رأى أن أحدهما أحقّ من صاحبه سفه الحقَّ وجهِلَ دينَهُ.

لا يجد عن الإقرارِ بالقدرِ مناصًا، ولا عن الاعترافِ بالخطيئة محيصًا، فمن ضاق ذرعًا بهذا: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج: ١٥].

فوالله لا يجد بُدًا من أن يضرع إلى الله ضرعَ من يعلمُ أن الأمر ليس إليه، ويعتذرُ مِن الخطيئة اعتذارَ من كأنَّها لم تُقدَّر عليه.

فلا تملكوا أنفسكم جحدَ القُدرة، ولا تعذروها بالقدر فرارًا من حُجَّتِهِ.

٢ ـ ضعوا أمر الله كما وضعه، ألا تفرَّقوا بينه بعدما جمعه؛ فإنَّه قد خلطَ بعضَهُ ببعضٍ، وجعل بعضَهُ من بعض فخلطَ الحيلةَ بالقدرِ ثم لام وعذَرَ، وقد كتبَ بعد ذلك فلا تملكوا أنفسكم فتجحدوا نعمتَهُ في الهدى، ولا تغلوا في صفةِ القدر؛ فتعذروا أنفسكم بالخطأ، فإنَّكم إذا نحلتم أنفسكم باللائمة، وأقررتم لربكم بالحكومَةِ: سددتم عنكم باب الخصومة، فتركتم الغلوَّ، ويئس منكم العدو.

فاتخذوا الكفَّ طريقًا فإنَّه القصد والهدى.

٣ ـ وأن الجدلَ والتَّعمُّقَ هو جور السَّبيل، وصراطُ الخطأ، فلا تَحسبنَّ التَّعمُّق في الدِّين رُسوخًا، فإن الرَّاسخين في العلم هم الذين وقَفوا حيثُ تناهى علمهم، وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران: ٧].

وإن أحببتَ أن تعلمَ أن الحيلة بالقدر كما وصفتُ لك؛

٤ ـ فانظر في أمرِ القتال وما ذكر الله ﷻ منه في كتابه تسمع شيئًا عجبًا؛ مِن ذكر ملكٍ لا يغلبُ، ودولةٍ تنقلبُ، ونصرٍ محتوم، والعبدُ بين ذلك محمود ومَلُوم، ينصرُ أولياءه وينتصرُ بهم، ويُعذِّبُ أعداءه ويديلهم.

يقول تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ١٤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥﴾ [التوبة: ١٤ ـ ١٥].

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عمران: ١٦٠].

قال: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ

ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فافهم ظنَّهم أي الفريقين أولى بهم:

المضيف إلى ربِّه المؤمن بقدره، أم الذي يزعُمُ أنَّه قد ملكه؟ فإلى نفسه وكَلَهُ، فإنَّ ظنَّهم ذلك إنَّما هو قولهم: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ولكنَّا عصينا، ولو أطعنا ما قتلنا ها هنا.

فلعمري لئن كانوا صدقوا؛ لقد صدقت.

ولئن كانوا كذبوا؛ لقد كذبت، فقال الملك تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقـال الله ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

٥ ـ فيديل الله أعداءه على أوليائه فيستشهدهم بأيديهم، ثم يكتب ذلك خطيئة عليهم، ثم يُعذّبهم بها، ويسألهم عنها، وهو أدالَهم بها، وينصرُ أولياءه على أعدائه، ثم يقول: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

ثُم يكتب ذلك حسنة لهم يحمدُهم عليها، ويُثني عليهم بها، وهو تولَّى نصرَهم فيها، يقول: الأمرُ كُلُّه لي لا يغلبُ واحدٌ من الفريقين إلَّا بي.

٦ ـ وعدهم ببدرٍ إحدى الطائفتين أنَّها لهم وعدًا لا يُخلفُ، ونقمة لا تُصرف، ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [آل عمران: ١٢٧].

يقول لنبيه ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

تمم ذاك الوعد بمثل الحيلةِ، وأعدَّ لهم العدد والمكيدة.

وإنَّما هو تسبب لقدرةٍ خَفيَّةٍ، وأنزل من السَّماء الملائكة لقتال ألفٍ مِن قريشٍ، ثم أوحى إليهم: ﴿أَنِّى مَعَكُمْ﴾؛ يثبتهم بذلك.

﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، حتى كأنَّه عند من ينكر القدر أمرٌ يكابر، وعدوٌّ يخافُ منه أن يظفرَ.

وإبليسُ مع الكُفَّارِ قد زينَ لهم أعمالهم، ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].

فبينما الأمر هكذا، كأنَّه أمرَ النَّاس الذين يخشون الغلبة، ويجتهدون في المكيدة، ولا يتركون في عدةٍ، إذ قذفَ الرُّعبَ في قلوبِهم فولَّوا مُدبرينَ.

وقال للملائكة: اضربوا ﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢]، فجاءهم أمرٌ لا حيلة لهم فيه، ولا صبر لوليهم عليه، وإنَّما وعدَهم عليه إبليس، فلما رأى الملائكة نكصَ على عقبيه وقال: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨]، لا يجنبني وإيَّاكم من بأسِهِ جُنَّةٌ، ولا يدفعه عنِّي ولا عنكم عُدةٌ ولا قوَّةٌ، لا ترون من يقاتلُكُم، لا تستطيعون دفعَ الرُّعبَ عن قلوبكم، ولا أستطيع دفعَهُ عن نفسي فكيفَ أستطيعُ دفعه عنكم؟ وهُم الذين كانوا حذروا

وخيف منهم أن يظهروا، ورأوا منهم كثرة العددِ حين قال: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ لِمَه؟ قال: ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ﴾ [الأنفال: ٤٣، ٤٤].

٧ ـ فيخبرُهم أنَّه قد فرغ وقضى، وأنَّه لا يريد أن يكون الأمر إلَّا هكذا، ويحسبُ القدري إنَّما ذلك مِن الله احتيالٌ واحتفالٌ وإعدادٌ للقتال، وينسى أنَّه الغالبُ على أمرِهِ بغير مُغالبةٍ، والقاهرُ لعدوِّهِ إذا شاءَ بغير مُكاثرةٍ.

أهلك عادًا بالرِّيحِ العقيم، وأخمدَ ثمودَ بالصَّيحةِ، وخسفَ بقارون وبدارِهِ الأرض، وأرسلَ على قومِ لوطٍ حِجارةً مِن السَّماءِ، ويرسلُ الصَّواعقَ فيُصيبُ بها من يشاء قعصًا[1] لا مكرَ فيه ولا استدراج، ويستدرجُ ويمكرُ بمن لا يعجزُهُ، ويأتي من حيث لا يحتسب من لا يمتنع منه مواجهة، ومن ليست له على النَّجاة منه قُدرةٌ وكلا الأمرين في قدرِهِ وقضائِهِ سواء؛ فهو ينفذُهُما في خلقه على من يشاء، لم يهلك هؤلاء قعصًا ولا قهرًا اغتنامًا لغِرَّتِهِم، ولم يستدرج هؤلاء ويمكر بهم شفقةً أن يعجزوا مما أراد بهم.

٨ ـ لقدرِهِ وقضائه مخرجان: أحدهما ظاهرٌ قاهرٌ، والآخرُ قويٌّ خفيّ، لا يمتنعُ منه شيءٌ، ولا يوجد له مسٌّ، ولا يسمعُ له حسٌّ، ولا يرى له عينٌ ولا أثرٌ حتَّى يبرمَ أمرَهُ فيظهر، يباعدُ به

(١) (القعص): القتل، ومات فلان قعصًا، أي أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه. «العين» (١/ ١٢٧).

القريبَ، ويصرفُ به القلوبَ، ويقربُ به البعيد، ويذلُّ به كلَّ جبارٍ عنيدٍ حتَّى يفعل ما يريد به.

٩ ـ حفظ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في التابوت واليمِّ منفوسًا، يقربه من عدوِّه إليه للذي سبَّب أمره عليه، وقد قدَّر وقضى أن نجاته فيه.

قال لأُمِّه: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ٧] أن يأخذه فرعون ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه: ٣٩] يأخذه فرعون هنالك لا يريد أن يأخذه إلَّا كذلك، فاختلجه من كنِّهِ ومن ثدي أُمِّهِ إلى هولِ البحرِ وأمواجه، وأدخلَ قلبَ أُمِّهِ اليقينَ أنَّه رادُّهُ إليها وجاعلُهُ من المرسلين، فأمنت عليه الغرقَ فألقته في اليمِّ ولم تَفرَق، وأمر اليمَّ يلقيه بالسَّاحلِ؛ فسمِعَ وأطاعَ وحفظه ما استطاع حتَّى أدَّاه إلى فرعون بأمره، وقد قدَّر وقضى على قلبِ فرعونَ وبصرِهِ حفظَهُ وحُسن ولايته بما قضى من ذلك، فألقى عليه مَحبةً منه ليصنعَهُ على عينه، قد أمَن عليه سطوته، ورَضِيَ له تربيته، لم يكن ذلك منه على التغريرِ والشَّفقة؛ ولكن على اليقين والثِّقة بالغلبة، يصطفي له الأطعمة والأشربة والخدم والحُضَّان، يلتمس له المراضع شفقًا أن يُميته وهو يقتلُ أبناء بني إسرائيل عن يمينٍ وشمال، يخشى أن يفوته وهو في يديه، وبين حجره ونحره، يَتبنَّاه ويترشفه، يراه ولا يراه وقد أغفل قلبه عنه وزيَّنه في عينه وحببه إلى نفسه؛ لمه؟ قال: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، فمنه يفرق على ودِّه لو عليه يقدر، وهو في يديه وهو لا يشعر، حتَّى رَدَّه بقدرته إلى أُمِّه وجعله بها من المرسلين، وفرعونُ خلالَ ذلك يزعم أنَّه رَبُّ العالمين! وهو يجري في كيدِ الله المتين، حتَّى أتاه من رَبِّه اليقين مذعنًا مستوثقًا في كل مقالٍ وقتالٍ،

يرفع طبقًا عن طبق حتَّى إذا أدركه الغرق قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠].

١٠ ـ فنسألُ الله تمام النِّعمةِ في الهدى في الآخرة والدنيا، فإن ذلك ليس بأيدينا، نبرأُ إليه من الحولِ والقوَّةِ، ونبوءُ على أنفسنا بالظلم والخطيئة، الحُجَّةُ علينا بغير انتحالنا القدرة على أخذ ما دعانا إليه إلَّا بمَنِّه وفضله صراحًا.

ولا نقول: كيف رزقنا الحسنة وحمدنا عليها؟

ولا كيف قدَّرَ الخطيئة ولامنَا فيها؟

ولكن نلوم أنفسنا كما لامَها، ونُقِرُّ له بالقدرة كما انتحلها.

لا نقول لما قاله، لم قاله؟

ولكن نقول كما قالَه، وله ما قال، وله ما فعل، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

آخر الرِّسالة.

الرسالة الرابعة

إثبات القدر والرد على القدرية

مجمل الرسالة:

بدأ الإمام ابن الماجشون رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الرسالة بالوصية بالتَّمسُّكِ بالسُّنة وبيان مكانتها.

ثم بيَّن منزلة السَّلف الصَّالح والاقتداء بهم، وترك مخالفتهم فيما قالوه، وترك الخوض فيما لم يتكلموا فيه، فإن الهلكة تكون في مخالفة هديهم وطريقتهم.

ثم شرع في بيان إثباتِ القدر، وأن إنكاره من أظهر وأبين البدع التي ظهرت وأُحدثت، وبيان أن أهل الجاهلية كانوا في جاهليتهم يثبتونه، وأن الشرع ما زاده إلَّا شدَّة وتثبيتًا.

ثم حذَّر من الجدال في الدِّين.

مصدر الرسالة:

استخرجت هذه الرسالة من كتاب «الإبانة الكبرى» (١٩٧٤/ بتحقيقي) وقد اعتمدت فيها على نسخة خطية من الكتاب، ثم قابلتها بطبعة الراية (١٨٥٣)، والفاروق (١٨٦٨). ولم أقف على من خرجها غيره.

صورة المخطوط

۞ قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى»:

حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد القافلائي، قال: حدثنا محمد بن إسحاق الصاغاني، قال: حدثنا عبد الله بن صالح (ح).

وحدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن رجاء، وأبو حفص عمر بن أحمد بن شهاب، قالا جميعًا: حدثنا أبو العباس أحمد بن عبد الله، قال: ابن شهاب، حدثني أبي قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن هانىء الطائي، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة أنه قال:

أما بعد،

١ ـ فإني موصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمرِهِ، واتباع سُنَّة رسول الله ﷺ، وتركِ ما أحدثَ المُحدِثون في دينهم مما قد كفوا مؤنته، وجرت فيهم سُنته.

٢ ـ ثم اعلم أنَّه لم تكن بدعةٌ قطُّ إلَّا وقد مضى قبلها ما هو عِبرةٌ فيها، ودليلٌ عليها؛ فعليك بلزوم السُّنة؛ فإنَّها لك بإذن الله عصمةٌ.

وأن السُّنة إنَّما جُعلت سُنةً ليُستنَّ بها، ويُقتصرَ عليها، وإنَّما سَنَّها مَن قد علمَ ما في خلافِها مِن الزَّللِ والخطأِ والحُمق والتَّعمُّقِ.

٣ ـ فارضَ لنفسِكَ بِما رضُوا به لأنفُسِهم؛

فإنَّهم عن عِلمٍ وقفوا، وبِبَصرٍ نافذٍ كفوا، ولهم عن كشفِها كانوا أقوى، وبفضلٍ لو كان فيها أحرى.

وأنَّهم لهم السَّابقون؛ فلئن كان الهُدى ما أنتم فيه لقد سبقتموهم إليه.

ولئن قلتَ: حدثَ حدثٌ بعدهم؛ ما أحدثَهُ إلَّا من اتبع غير سبيلهم، ورَغِبَ بنفسِهِ عنهم.

ولقد وصفوا منه ما يكفي، وتكلَّموا منه بما يشفي، فما دونهم مَقصَر، ولا فوقَهم مَجسر.

لقد قصر أناسٌ دونهم فجفوا، وطمح[1] آخرون عنهم فغلوا، وإنَّهم بينَ ذلك لعلى هدى مُستقيم.

٤ ـ سألتني عن القدر وما جحد منه من جحد.

فعلى الخبير ـ إن شاء الله ـ سقطت؛

وذلك أرى الذي أردت فما أعلم أمرًا مما أحدث النَّاسُ فيه مُحدثةً، أو ابتدعوا فيه بدعةً أبين أثرًا، ولا أثبت أصلًا، ولا أكثرَ ـ والحمدُ لله ـ أهلًا مِن القدر.

لقد كان ذِكرُه في الجاهلية الجهلاء، ما أنكروا من الأشياء، يذكرونَه في شعرِهِم وكلامِهِم، ويعزُّون به أنفسهم فيما فاتهم، ثم ما زادَهُ الإسلام إلَّا شِدَّةً.

لقد تكلَّمَ به رسول الله ﷺ في غير موطِن ولا اثنين ولا ثلاثة ولا أكثرَ من ذلك، وسمعه المسلمون منه، وتكلَّموا به في حياته وبعد وفاتِهِ ﷺ يقينًا وتسليمًا وتضعيفًا لأنفسِهِم وتعظيمًا لربهم أن يكون شيءٌ لم يحط به علمه، ولم يحصِهِ كتابه، ولم يمضِ به

(١) (طمح): علا وارتفع. «مقاييس اللغة» (٣/ ٣٣١).

قدرُهُ، إنَّ ذلك مع ذلك لفي محكم كتابِهِ لمنه اقتبسوه وَلبه علموه.

٥ ـ فلئن قلتُم: أين آية كذا؟ وأين آية كذا؟ ولم قال الله عَزَّ وَجَلَّ كذا وكذا؟

لقد قرؤوا منه ما قرأتم، وعلموا من تأويله ما جهلتم، ثم آمنوا بعد ذلك به كُلِّه بالذي جحدتم فقالوا: قُدِّرَ وكُتِبَ وكلُّ شيء بكتابٍ وقدر، ومن كتبت عليه الشقوة، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله، ولا نملك لأنفسنا ضرًّا ولا نفعًا إلَّا ما شاء الله.

ثم رغبوا مع قولهم هذا ورهبوا، وأمروا ونهوا، وحمدوا ربهم على الحسنة، ولاموا أنفسهم على الخطيئة، ولم يعذروا أنفسهم بالقدر، ولم يُملِّكوها فعل الخير والشَّرِّ، فعظَّموا الله بقدرِهِ، ولم يعذروا أنفسَهم به، وحمدوا الله على مَنِّهِ، ولم ينحلوه أنفسهم دونه.

وقال الله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٨٥﴾ [المائدة: ٨٥].

وقال: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ۝٥٩﴾ [البقرة: ٥٩].

فكما كان الخير منه وقد نحلَهم عمله فكذلك كان الشَّرُّ منه وقد مضى به قدَرُه.

٦ ـ وإنَّ الذين أمرتك باتباعِهِم في القدرِ لأهل التنزيل؛ الذين تلوه حقَّ تلاوته؛ فعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهِهِ، وكانوا بذلك من العلم في الرَّاسخين، ثم ورَّثوا علم ما علموا من القدرِ وغيره مَن بعدهم، فما أعلم أمرًا شكَّ فيه أحدٌ من العالمين لا يكون أعظمَ [في] الدين[1] [ولا] أعلى ولا أفشى ولا أكثر ولا أظهر من الإقرار بالقدر.

---

(١) في الأصل: (لا يكون أعظم الدين أعلى ولا...)، ولعل الصواب ما أثبته.

لقد آمنَ به الأعرابيُّ الجافي، والقرويُّ القاري، والنِّساءُ في ستورهنَّ، والغلمانُ في حداثتهم، ومن بين ذلك من قويِّ المسلمين وضعيفهم، فما سمعه سامعٌ قطُّ فأنكره، ولا عرض لمتكلِّمٍ قطُّ إلَّا ذكرَه، لقد بسط الله عليه المعرفة، وجمع عليه الكلمة، وجعل على كلام من جحدَهُ النُّكرة، فما من جحدَهُ ولا أنكره فيمن آمن به وعرفه من النَّاس إلَّا كأكلة رأس.

٧ ـ فالله الله، فلو كان القدرُ ضلالةً؛ ما تكلَّم به رسول الله ﷺ، ولو كانت بدعةً لعلم المسلمون متى كانت، فقد علم المسلمون متى أحدثتِ المحدثات والبدعُ والمضلاتُ.

وإن أصل القدر لثابتٌ في كتابِ الله تعالى، يعزِّي به المسلمين في مصائبهم بما سبق منها في الكتاب عليهم؛ يريدُ بذلك تسليتَهُم، ويثبتُ به على الغيبِ يقينَهم، فسلَّموا لأمرِهِ وآمنوا بقدَرِه، وقد علموا أنَّهم مبتلون، وأنَّهم مملوكون غير مُملَّكين ولا موكَّلين، قلوبهم بيد ربِّهم، لا يأخذون إلَّا ما أعطى، ولا يدفعون عن أنفسهم ما قضى، قد علموا أنه إن وكَلَهم إلى أنفسهم ضاعوا، وإن عصمهم من شرِّها أطاعوا، هم[1] بذلك من نعمته عارفون كما قال نبيه وعبده الصدِّيق: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٣].

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف: ٥٣].

---

(١) في الأصل: (أطاعوهم).

فتبرَّأ إلى ربه من الحولِ والقوَّةِ، وباء مع ذلك على نفسه بالخطيئة، فكانت لهم فيه أُسوة وكانوا له شيعة.

٨ ـ لم يجعل الله تعالى القدر والبلاء مختلفًا في صدورهم، ومنع الشَّيطان أن يُدخل الوسوسة عليهم، فلم يقولوا: كيف يستقيمُ هذا؟

قد علموا أن الله هو ابتلاهم، وأن قدرَهُ نافذٌ فيهم، ليس هذا عندهم بأشدَّ مِن هذا، ولا يوهِنُ هذا عندهم هذا، يحتالون لأنفسهم كحيلةِ من زعمَ أن الأمرَ بيده، ويؤمنون بالقدرِ إيمان من علم أنَّه مغلوب على أمرِهِ؛ فلم يبطئهم الإيمان بالقدرِ عن عبادته، ولم يلقوا بأيديهم إلى التَّهلكة من أجله، ولم يخرجهم الله عَزَّ وَجَلَّ بالبلاء من مُلكِهِ، فهم يطلبون ويهربون، وهم على ذلك بالقدر يوقنون، لا يأخذون إلَّا ما أعطاهم، ولا ينكرون أنَّه ابتلاهم، كذلك خلقهم وبذلك أمرهم.

يضعفون إليه في القوَّةِ، ويُقرُّون له بالقدرة والحُجَّةِ، لا يحملهم تضعفيهم أنفسَهم أن يجحدوا حُجَّته عليهم، ولا يحملُهم علمهم بعذرِهِ إليهم أن يجحدوا أن قدرَه نافذ فيهم، هذا عندهم سواءٌ وهم به عن غيره أغنياء، قد عصمهم الله تعالى من فتنة ذلك؛ فلم يفتحها عليهم، وفتحها على قوم آخرين لبَّسوا أنفسهم، فلَبَّس عليهم ما يلبسون، فهم هنالك في غمرتهم يعمهون، لا يجدون حلاوة الحسنة فيما قدرَ عليهم من المصيبة حين زعموا أنهم في ذلك مملوكون أن يُقدِّموها قبل أجلِها، ويزعمون أنهم قادرون عليها، فسبحان الله ثم سبحان الله.

٩ ـ فهلمَّ يا عباد الله إلى سبيل المسلمين التي كنتم معهم عليها فانبجستُمْ بأنفسِكم دونها، فتفرقت بكم السُّبل عنها، فارجعوا إلى معالم الهدى من قريب قبل التَّحسُّر والتناوشِ من مكان بعيدٍ.

فقولوا كما قالوا، واعملوا كما عملوا، ولا تفرِّقوا بين ما جمعوا، ولا تجمعوا بين ما فرَّقوا، فإنَّهم قد جعلوا لكم أئمَّةً وقادةً، وحملوا إليكم من كتاب الله ﷻ وسُنَّة رسول الله ﷺ ما هم عليه أمناءُ، وعليكم فيما جحدتم منه شُهداء، فلا تجحدوا ما أقرُّوا به من القدر فتبتدعوا، ولا تشدُّوه بغيره فتكلفوا، فإني لا أعلم أحدًا أصحَّ قلبًا في القدرِ ممن لم يدرِ أن أحدًا قال فيه شيئًا فهو يتكلَّمُ به غضًّا جديدًا لم تدنسه الوساوسُ، ولم يوهنه الجدلُ ولا الالتباسُ وبذلك فيما مضى صحَّ في صدر النَّاس.

١٠ ـ فاحذروا هذا الجدل؛ فإنَّه يقرِّبكم إلى كُلِّ موبقةٍ، ولا يسلمكم إلى ثقة، ليس له أجلٌ ينتهي إليه، وهو يدخلُ في كل شيء؛ فالمعرفة به نعمةٌ، والجهالةُ به غرةٌ، وعلامات الهدى لنا دونه، من ركبه أرداه وترك الهدى وراءه، بيّنٌ أثره، وقريب مأخذه، لا يكلَّفُ أهله العويص والتشقيق.

١١ ـ ثم اعلم أنَّه ليس للقرآن موئلٌ مثل السُّنة؛ فلا يسقطنَّ ذلك عنك فتحير في دينك، وتتيه في طريقك، ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام: ٧١].

آخر الرسالة.

۞ ۞ ۞

الرسالة الخامسة

النهي عن الجدال

مجمل الرسالة:

اشتملت هذه الرسالة على الأمر بالكف عن الجدال في الدين، والتحذير منه، وأنه سبب انتقال أهل البدع من دين إلى دين.

وبيان خطر التعمق في الدين، وأنه ليس من سبيل المؤمنين الصادقين.

مصدر الرسالة:

استخرجت هذه الرسالة من كتاب «الإبانة الكبرى» لابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ (٦٨٥/ بتحقيقي)، وقد اعتمدت على نسخة خطية لهذا الكتاب، ثم قابلتها بنشرة دار الراية (١/ ٥٣٣) (٦٥٩)، والفاروق (١/ ٣٧٩) (٦٦٦).

صورة من المخطوط

قال ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى»:

أخبرنا أبو القاسم حفص بن عمر، قال: حدثنا أبو حاتم، قال: حدثنا أبو صالح كاتب الليث، قال:

أملى عليَّ عبد العزيز ابن الماجشون، قال:

١ ـ احذروا الجدل، فإنه يقرّبكم إلى كل موبقةٍ، ولا يسلمكم إلى ثقةٍ.

ليس له أجل ينتهى إليه، وهو يدخل في كل شيء.

فاتخذوا الكفَّ عنه طريقًا، فإنه القصد والهدى، وإن الجدل والتعمق هو جور السبيل، وصراط الخطأ.

٢ ـ فلا تحسبن التعمق في الدين رسوخًا[1]، فإن الراسخين في العلم هم الذين وقفوا حيث تناهى علمهم.

٣ ـ فاحذرهم أن يجادلوك بتأويل القرآن، واختلاف الأحاديث عن رسول الله ﷺ فتجادلهم فتزَّل كما زلوا، وتضلَّ كما ضلوا، فقد كفتك السيرة ـ يعني: سيرة السلف ـ مؤنتها، وأقامت لك منها ما لم تكن لتعدله برأيك.

٤ ـ فلا تتكلفنَّ صفة الدِّين لمن يطعن في الدين، ولا تمكنهم من نفسك، ولا تعرِّضهم دينك، فإنما يريدون أن يعنتوك، أو يأتوك بشبهة فيعنتوك.

ولا تقعد معهم، قال الله ﷻ: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

---

(١) في الأصل: (رسخًا)، ولعل الصواب ما أثبته.

٥ ـ ولعمري إن صفة الدين لبيِّنة، وإن سُبله لواضحة، وإن مأخذه لقريب لمن أراد الله هداه، ولم تكن الخصومة والجدل هواه.

ولولا أن يأخذ الأمر من غير مأخذه، أو تتبع فيه غير سبيل أهله، فإن عوراتهم لمكشوفة، وإن حجتهم لداحضة.

و. . [١] دانوا الله بغير دين واحدٍ بأديان شتى، يمسون على دينٍ، ويصبحون به كافرين.



(١) كلمة لم أتبينها.